كلمة التحرير

عبد الحميد أبو سليمان: رحلة البحث عن المعنى والجوهر

هشام الطالب*

عاش المفكِّر عبد الحميد أبو سليمان -رحمه الله- رحلةً فكريةً مميزة، باحثاً فيها عن المعنى والجوهر، وقابضاً على جَمْر الفِكر. لقد أنبتَه الله نباتاً حسناً في موئل الرُّوح وبناء النَّفْس الإسلامية، في مكة المكرمة، فجاء بناءُ الوجدان متسقاً مع وحي المكان وامتداد الزمان؛ إذ كان يراقب سيرورة الحجّاج والمعتمرين، ويلتقط إيحاءاتهم وأفعالهم، ويؤرخ في ذهنه هذا التواصل الحضاري مع من كانوا يأتون من كل فجّ عميق، بثقافاتهم وعاداتهم وطرائق تفكيرهم، وأعانه هذا التفحّص -للنَّفس وللتفكير- في منهجيته الفريدة القائمة على التواشج بين النص والواقع والإنسان، وتحليل الوقائع والطبائع في ضوء هداية النص وتوجيهاته، فأهدى العقلَ المسلمَ ما أسماه "المنهجية الشمولية التحليلية المنضبطة"، التي تتكئ على قيم الأمة وطبيعتها وشخصيتها، ومنطلقاتها القائمة على التوحيد والاستخلاف وغائية الوجود وتكامل أبعاده المادية والروحية؛ إذ يبدأ بإصلاح منهج المعرفة وتوحيد مصادرها الإلهية والإنسانية واستعادة الرؤية الكلية؛ إذ يوفر الوحي البُعد الكلي الروحي والأخلاقي لمجال الفعل الإنساني، وتوفر السننُ الكونية الوسائلَ العلمية والتقنية لذلك الفعل، ويتمّ الدرس في الطبائع والوقائع على أساس مبادئ العقل وسنن الكون ومقتضى هداية الوحي.

وقد نشأ عبد الحميد على هذا التصوّر الحضاري القائم على الجمع بين معارف الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي والثقافة والعلوم المعاصرة، ومحاولة الإبداع والتكيّف الإبداعي مما سنتبينه

* رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن العاصمة.

الطالب، هشام (2023). **عبد الحميد أبو سليمان: رحلة البحث عن المعنى والجوهر**، مجلة "الفكر الإسلامي المعاصر"، مجلد 29، العدد 106، 5-9. DOI: 10.35632/citj.v29i106.8147

كافة الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي 2023 ©

لاحقاً في أفكاره ومنهجيته وبرامجه؛ إذ التفكير غير المألوف في مجتمعات أَلِفت السُّكون، وناهضت الأفكار الإبداعية، وغدت بعض الممارسات الثقافية ديناً يُقتدىٰ حذو النَّعل بالنَّعل. ولعل الاتساق الكبير بين تنظيرات أبو سليمان وتطبيقاته تعدّ مَعْلَماً بارزاً علىٰ التفكير الإبداعي التطبيقي، الذي يوازن بين دينامية النص وفاعليته، ومكان تطبيقه وزمانه، ومناط التطبيق وهو إنسان المكان والزمان. وهذا لمسناه في البرامج التي أسسها في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، عندما أدارها ما يقارب عقداً من الزمن؛ إذ برزت بعض البرامج التي لم تألفها الخطط الجامعية مثل: مقرر "الأسرة والأبوة" و"الفكر الإبداعي وحلّ المشكلات" و"قيام الحضارات وانهيارها"، فضلاً عن الرؤية الكُلِّيَّة في وحدة المعرفة التي نتج عنها كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية.

شكّلت الجغرافيا مساحة مهمة في التكوين الفكري والوجداني لعبد الحميد، انعكس في منهجيته الفكرية في التعامل مع ثلاثية النص-الإنسان-الواقع؛ فمن مكة الرُّوح التي أسهمت في تكوينه الوجداني والتربوي، مروراً بالقاهرة التي شكّلت رؤيته الفكرية المبكرة في التعامل مع قضايا العصر وأهمها مجال الاقتصاد والعلاقات السياسية، ودفعته إلىٰ نبش مكنونات التراث في التعامل مع القضايا الإشكالية، فكان مؤلفه البِكر تعبيراً عن حالة العودة إلىٰ الذات لاستدعائه في الحاضر بصورة تثويرية لا إسقاطية؛ إذ جاء معنوناً بـ"نظرية الإسلام الاقتصادية: الفلسفة والوسائل المعاصرة". وفي المحطة الثالثة نراه في عالَمٍ مادّي مماثل للعالَمَين السابقين وللمحطتين آنفتي الذّكر، ألفيناه في عالم الغرب؛ في الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ حاول بلورة كينونته الحضارية وشخصيته الإسلامية، فاشتبك فكرياً وثقافياً ومعرفياً مع أنظمة التعليم والتربية والنظريات الاجتماعية، فتحدّىٰ ذاته واختبرها في محاورة الآخر، وقدرته علىٰ إنتاج البدائل الحضارية في ظل إكراهات معرفية وسيطرة غربية واضحة في الحقول المعرفية والتعليمية المختلفة، فدعا إلىٰ إعطاء العلوم السلوكية والاجتماعية (علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الإنسان) أولوية قصوىٰ لبناء العقلية الإسلامية المعاصرة، وأهمية البدء بإسلامية مجالها وتقديم قضاياها من منظور إسلامي؛ لأن جهود إسلامية مختلف العلوم الاجتماعية إنما تتوقف علىٰ سلامة فهم الباحثين للفطرة والطبيعة الإنسانية، وحركية

العلاقات الإنسانية، وهذه إنما تتم في مجال العلوم السلوكية، فإسلاميتها خطوة أولى أساسية لإسلامية العلوم الاجتماعية الأخرى، لذا نادى أبو سليمان أواخر الستينات وبداية السبعينات بأهمية ولادة علوم اجتماعية وإنسانية إسلامية بمنهجية معاصرة. ومثّلت رسالته في الدكتوراه الموسومة بـ"نظرية العلاقات الدولية في الإسلام" هذا الهمّ والقلق المعرفي الذي يجابه المسلم في لحظة التأسيس والمواجهة الحضارية.

مثّل أبو سليمان أنموذجاً للعالِـم العامِل، الذي ترك بصمته في كل محفل ومؤسسة يعمل فيها؛ إذ كان لهذا العالِـم الـمُسلِم والمفُكِّر الأكاديمي الجليل حضور لافت في مؤتمرات اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء إقامته ودراسته فيها، وقد أسهم في تأسيس هذا الاتحاد في الولايات المتحدة وكندا، إلى جانب الاتحاد الإسلامي للمُنظَّمات الطلّابية، وأسهم كذلك في تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي مع نخبة من العلماء والـمُفكِّرين، وكان -رحمه الله- ثاني رئيس لهذا المعهد بعد الفاروقي، وتولّى رئاسة مجلس أمنائه إلى أنْ توفّاه الله تعالى، وفي مؤسسة المعهد أنتج معظم مؤلفاته، وظهرت تأسيساتُه الفكرية العميقة، وغَدت مقولاتُه وأفكارُه منارةً يَستهدي بها نخبةٌ من المفكرين والباحثين. وكانت له بصمات واضحة في إنشاء عدد من المؤسسات والجمعيات العلمية والفكرية من أهمها: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وجمعية علماء الاجتماعيات المسلمين في الولايات المتحدة وكندا، والمجلَّة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الإسلامية التي تولّى رئاسة تحريرها مُدَّةً من الزمن. ومن يتفحَّص الإدارة العلمية عند أبو سليمان،[1] سيلمس هذا الجانب الإبداعي الذي يؤمن بتطوير الأفكار من خلال الفريق والجماعة العلمية، وبإدارة هذه الأفكار من خلال علماء الأمة ومفكريها، وبتسويق هذه الأفكار من خلال التعاون مع المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية والأكاديمية.

أغنى أبو سليمان المكتبة الإسلامية بمُؤلَّفات موسوعية مُتميِّزة في ميادين الثقافة، والفكر، والحضارة، والتاريخ، والاقتصاد الإسلامي، ونشر كثيراً من المقالات والأوراق والبحوث في

[1] استخدمنا اسم (أبو سليمان) على المبدأ النحوي في الحكاية، الذي يبقي الاسم كما هو في حالاته الإعرابية كلها. ولعل الباحثين في هذا العدد ساروا على هذا النهج.

الدوريات العلمية. وكان لهذه المؤلفات دور كبير في تكوين شخصية المسلم المعاصر. ومن أهم هذه المؤلفات: أزمة العقل المسلم، وأزمة الإرادة والوجدان، والرؤية الكونية الحضارية القرآنية، والعنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي بين المبدأ والخيار: رؤية إسلامية، والنظرية الإسلامية للعلاقات الدولية: اتجاهات جديدة للفكر والمنهجية الإسلامية، وإشكالية الاستبداد والفساد في الفكر والتاريخ الإسلامي، وانهيار الحضارة الإسلامية وإعادة بنائها، وكنوز جزيرة البنائين، والتربية الوالدية بالاشتراك مع الدكتور هشام الطالب والدكتور عمر الطالب.

وقد سعى أبو سليمان في مُؤلَّفاته وكتاباته إلى تبيان أثر الحضارة الإسلامية الفاعل في الفكر الإنساني عامة والفكر الغربي خاصة، لا سيَّما في عصور الجهل والانحطاط الفكري والعلمي الذي عاشته أوروبا، فضلاً عن بيان الآثار الإصلاحية النظرية والعملية لمدرسة "إسلامية المعرفة" التي أسهم في تأسيسها. وكذلك تطوير البرامج البحثية والعملية التي تؤدّي دوراً مُهِمّاً في استمرار الاجتهاد والتجديد. وتهتمُّ كذلك بالجانب الإبداعي والإصلاحي للأُمَّة الـمُسلِمة، والرؤية الحضارية الإسلامية؛ عقيدةً، ومنهجاً، وفكراً، وثقافةً. إلى جانب تحليل ما يعانيه العقل والوجدان الـمُسلِم من أزمات ومعضلات شكّلت الأزمة الفكرية للعقل المسلم وأهمها: ازدواجية التعليم التي انعكست على شخصية المسلم وعقله وفكره ونمط حياته؛ وخطر العلمانية وحركة التغريب على الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي؛ ونمط المنهجية الإسلامية التقليدية وقصورها عن تقديم البديل المعرفي الإسلامي ولا سيما في العلوم الاجتماعية. ولأن أبجديته المنهجية تؤمن بالتنظير والتطبيق في الآن نفسه، فقد وضع جُمْلة من الإجراءات العلاجية اللازمة لمعالجة هذه الأزمات.

وقد كان لهذا العالِـم الـمُسلِم حضور واسع في عدد من المؤسسات والمؤتمرات الثقافية والعلمية، إضافةً إلى نشاطه الدعوي والفكري، وجهوده الإصلاحية التي استهدفت إصلاح التعليم الجامعي في العالَم الإسلامي أجمع، مُستلهِمةً في ذلك الرؤية القرآنية الكونية؛ إذ تولّى إدارة الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا منذ عام 1988م حتّى عام 1999م، وانتقلت الجامعة في عهده نقلة نوعية جعلها من الجامعات التي يُشار إليها بالبنان في مجال العلم والفكر والتكامل المعرفي. وكان -رحمه

الله- قد أنشأ المدرسة الإسلامية العالمية في ماليزيا عام 1989م، ثمَّ مكتب دار منار الرائد للاستشارات التربوية والتعليمية في الرياض عام 2003م، الذي ظلَّ مديراً له حتّى وفاته في الثامن عشر من آب/ أغسطس عام 2021م.

لم تَغِبْ لحظةُ مكة عنه طرفةَ عين، وكان صفْوُ التَّفكير مُلازِماً له في حِلِّه وتَرْحالِه: (القِراءتان، التَّكامل المعرفي، الإنسان والكون، الرُّؤية الكونية القرآنية، العقل المسلم، المنهجيَّة الإسلامية، الاجتهاد والتجديد) هي مفاهيمُ في دائرة المعنى، وستظل تُذكّرنا برحلَة الباحث عن المعنى والجوهر، وتُذكّرنا بأَنَّ ثمة مفكِراً مُسلِماً وَضَع لَبِنَةً في بناء التَّاريخ الحضاري للأُمة: اسمُه عبدُ الحميد أبو سليمان.

نسأل الله عَزَّ وجَلَّ أنْ يرحمه بواسع رحمته، وأنْ يتقبَّل جهده وجهاده الفكري وإسهاماته في بناء الفرد والمجتمع والأمة.